

وصف الجنة

من كلام ابن القيم

من انتقاء الشيخ

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

رحمه الله تعالى
في كتابه المنهج القويم



ميراث النبوة
Miraath.Net

بهم مجالسهم واطمأنت بهم مساكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فبينما هم كذلك، إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار -جل جلاله- وتقدست أسماؤه -قد أشرف عليهم من فوقهم وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم. فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. فيتجلى لهم الرب -تبارك وتعالى- يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، فهذا يوم المزيد. فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا فأرض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد، فسلوني. فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه.

فيكشف لهم الرب عز وجل الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو لا أن الله قضى أن لا يحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا، يذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى، بمغفرتي بلغت منزلتك هذه).

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة".

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۖ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ ۖ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ (٢٥)﴾ [القيامة: 22، 25].



المصدر:

كتاب المنهج القويم في التأسّي بالرسول الكريم - للشيخ زيد المدخلي
طبعة دار الميراث النبوي

ميراث النبوة

وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواكب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، وإذا قابلت حبها فقل ما تشاء من تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحيين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعاقب الغصنين الغضين يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرأة التي جلاها ويرى مخ ساقها من وراء اللحم لا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها، ولو اطلعت على الدنيا لملاأت ما بين السماء والأرض ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها".

إلى أن قال -رحمه الله-: "فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن من الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواكب نهودهن كالعصف والرمان وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلکها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا حسن تلك المعانقة والمخاصرة وإذا سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة، والقمر ليلة البدر، كما تواتر ذلك عن الصادق المصدوق.

وقد ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد: (أن منادياً ينادي يوم القيامة: يا أهل الجنة إن ربكم -تبارك وتعالى- يستزيركم فحي على زيارته. فيقولون: سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا النجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً، وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب -تبارك وتعالى- بكرسيه فنصب هناك، ثم نصب لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، وجلس أدناهم -حاشاهم أن يكون فيهم دني- على كئيب المسك فما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي
ورحم الله الإمام ابن القيم الذي ارتوى من النصوص
الصحيحة فتفجرت ينباع شعره وتدفق جميل نثره في وصف
الجنات العاليات الغاليات فمن الشعر قوله:

ولله برد العيش بين خيامها
وروضاتها والثغر في الروض ييسم
ولله واديهما الذي هو موعد
المزيد لو فد الحب لو كنت منهم
بذالك الوادي يهيم صباة
محب يرى أن الصباة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما
يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة
فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نظرة
أمن بعدها يسلو المحب المقيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت
أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت
ويا لذة الأسع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت
ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها
فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولاسيما في لثمتها عند ضمها
وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراها إذا أبدت له حسن وجهها
يلذ به مثل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند امتلائها
فواكه شتى طلعتها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفتح جنة
ورمان أغصان به القلب مغرم
فيا خاطب الحساء إن كنت راغبا
فهذا زمان المهر فهو المقدم
وكن مبغضا للخائنات لحبها
فتحظى بها من دونهن وتنعم

وصم يومك الأدنى لعلك في غد
تفوز بعيد الفطر والناس صوم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها
ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي على جنات عدن فإنها
وحي على السوق الذي فيه يلتقى
المحبون ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له
فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به
زيادة قرب العرض فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح
وتربته من أذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة
ومن خالص العقيان لا تتفصم
مسك قد جعلن مقاعدا
لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا هم في عيشهم وسرورهم
وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له
بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة
فيضحك فوق العرش ثم يكلم
سلام عليكم يسمعون جميعهم
بأذانهم تسليمه إذ يسلم
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما
تريدون عندي إنني أنا أرحم
فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا
فأنت الذي تولى الجميل وترحم
فيعطيه هذا ويشهد جمعهم
عليه تعالى الله فאלله أكرم
فيا بائعا هذا ببخس معجل
كأنك لا تدري بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة
أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

ومن نثره في وصف الجنات قوله - رحمه الله -:

"وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرا لأحبابه
وأوليائه وملأها من محبته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها
بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير

بحدافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص.

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت
عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك
الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت
عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، وإن سألت عن أشجارها
فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الخشب
والخشب.

وإذا سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من
العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل،
وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر
لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وإن سألت عن طعامهم
ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن
شرابهم فالتسليم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آيتهم فآية
الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين أربعين من الأعوام،
وسياقي عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق
الرياح لأشجارها فإنها تستنفز بالطرب من يسمعها، وإن سألت
عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد المسرع في ظلها
مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن أدنى أهلها فأدنى أهلها يسير
في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت
عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا
من تلك الخيام، وإن سألت عن علايلها فهي غرف من فوقها غرف
مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإذا سألت عن ارتفاعها فانظر إلى
الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن
فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت
عن أرائكها فهي الأسرة عليها الحجال مزودة بأزرار الذهب فما لها
من خروج ولا ظلال، وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى
صورة القمر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور
العين، وأعلى من سماع أصوات الملائكة والنبين، وأعلى منها
خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون
عليها فنجائب مما شاء الله تسير بهم حيث شاءوا من الجنات وإن
سألت عن حليهم وشاراتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس
ملابس التيجان.